المحاضرة الثامنة
المجاميع الأدبية العامة

مع بزوغ شمس القرن الثالث للهجري بدأت تنضج حركة التأليف الأدبي من خلال ظهور الجاحظ رائد التأليف في الأدب بمعناه الواسع، وذلك من خلال مؤلّفاته الموسوعية: «الحيوان»، «البيان والتبيين». ثمّ توالت بعد ذلك المؤلفات الأدبية العامة في هذا القرن، حيث كان هناك «الكامل» للمبرد، و«عيون الأخبار» و«أدب الكاتب» لابن قتيبة.

ولمّا كان القرن الرابع الهجري اتسع نطاق التأليف في هذا المجال. ومن أشهر مؤلّفات هذا القرن: «العقد الفريد» لابن عبد ربّه، و«الآمالي» للقالي. وقد قال ابن خلدون في شأن هذه المرحلة: "إنّ أصول هذا الفن وأركانه أربعة: «أدب الكاتب» لابن قتيبة، «الكامل» للمبرد، «البيان والتبيين» للجاحظ، و«الأمالي» لأبي علي القالي، وما سوى ذلك فتبّع لها، وفروع عنها". وهكذا فقد سار التأليف الأدبي بعد ذلك نحو تقليد الأعمال السابقة، نذكر من ذلك «أمالي» السيد المرتضي (ت436هـ)، «أمالي» ابن الشجري (542هـ)، «زهرة الآداب» الحصري.

وقد عرفت حركة الإحياء في العصر المملوكي تأليف مجموعات أدبية عامة تتميّز عن مثيلاتها العبّاسية بحسن التبويب والتصنيف، بعد أن كانت ظاهرة الاستطراد سائدة بشكل أو بآخر في مؤلّفات العصر العبّاسي. ومن أهمّ هذه المصنّفات: «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري، «صبح الأعشى في صناعة الإنشا» للقلقشندي.

ولقد حاول بعض العلماء منذ نهاية القرن التاسع عشر متابعة التأليف في الموسوعات العامة إلاّ أنّ مؤلّفاتهم كانت دون المستوى المطلوب، فضلا عن عدم اكتمال التأليف في بعضها، وتوقّفها عن الصدور في بداية الطريق. ومن أشهر الموسوعات في هذا القرن: «دائرة معارف البستاني»، «دائرة معارف القرن العشرين»، «الموسوعة العربية الميسّرة» إلى غير ذلك.

أهمّ المجاميع الأدبية العامة

1- **الحيوان:** مؤلّفه هو أبو عثمان الجاحظ (159- 255هـ) (776- 868م). ويعدّ هذا الكتاب من أمّهات الكتب، يقع في 07 أجزاء[1]، وهو أوّل كتاب عربي جامع يتناول موضوع الحيوان بالبحث والدراسة، حيث راح الجاحظ يتتبّع ما في حياة الحيوان من الحجج على حكمة الله العجيبة وقدرته النادرة. غير أنّ طبيعة المنهج الّذي ينهج الجاحظ في كتاباته جعلته لا يربط نفسه بهذا الجانب فقط، وإنّما تراه يتشعّب في حديثه حتّى يكاد يطرق كثيرا من العلوم والمعارف. فإذا الكتاب موسوعة أدبية وثقافية عامة جمع فيه صاحبه كثير من المعارف الدينية والأدبية والبلاغية والنقدية الطبيعية والفلسفية والطبية والتاريخية والجغرافية، معرجّا على عادات العرب وأحوالهم وسياساتهم، مدبّجا ذلك بالعديد من الأشعار والأمثال والنوادر. .

[1] - طبع كتاب الحيوان عدّة مرّات أفضلها طبعة صدرت أول مرّة في مصر بتحقيق عبد السّلام هارون في سبعة أجزاء، تحوي اثنا عشرة فهرسا من الفهارس القيمة. ثمّ صدرت هذه الطبعة فيما بعد عدّة مرّات إحداها أصدرتها دار الفكر في بيروت عام 1950، والّتي خصّصت للفهارس جزءا خاصا، فإذا الأجزاء ثمانية.

2- **البيان والتبيين:** صاحبه هو أبو عثمان **الجاحظ**، وقد ألّفه في أواخر حياته بعد تأليف كتاب الحيوان، ومن الصعوبة تحديد موضوعات الكتاب نظرا لأنّ الجاحظ يعتمد كغيره من علماء ذلك الزّمان على الاستطراد. بيد أنّنا يمكن أن حدّد للكتاب بابين كبيرين؛ باب الكلام الّذي يندرج تحته كلّ ما يتعلّق باللسان ومخارجه واختلاف طرق الأداء واللحن، والفصاحة، وباب البلاغة الّذي تشتمل تعريفاتها وما يتعلق بها، وذكر للخطابة وآدابها وشروطها وأصحابها وعلومها. وبين تضاعيف البابين مباحث عدّة كتراجم الأعلام من الشعراء والخطباء وغيرهم، وعقد الموازنات بين الشعراء والخطباء، والعديد من القضايا النقدية. وصدر الكتاب في 04 أجزاء[2].

3- **الكامل في اللغة والأدب:** مؤلّفه هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المعروف **بالمبرد (210-286هـ) (825- 899م)**. ويشتمل الكتاب عل أبواب وكلّ باب على أكثر من موضوع، ما عدا بعض الأبواب التي يعقدها لمعالجة نوع واحد من الأخبار أو المختارات المتنوعة من غير ترتيب أو تنسيق مع استطرادات لا علاقة له بالفكرة الرئيسية للباب. وقد كانت اللغة والنحو وقضاياهما هي السّمة الواضحة في الكتاب فهو موسوعة لغوية كبيرة. كما أخذت البلاغة حقّها في الكتاب. اشتمل الكتاب على أخبار تاريخية هامة، وقدر وافر من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية، والكثير من الأمثال والخطب والكثير من أشعار العرب الجميلة وأخبارهم. صدر الكتاب في 04 أجزاء[3].

4- **عيون الأخبار:** مؤلّفه هو أبو محمد بن قتيبة **الدِّينورِي (213- 276هـ) (828- 882م)**. وقد قسم كتابه عشرة أبواب، تدور حول موضوعات لا ينقصها التكامل. والكتب هي: السلطان، الحرب، السُّؤْدد، الطبائع والأخلاق المذمومة، العلم، الزهد، الإخوان، الحوائج، الطعام، النساء. وقد لقي الكتاب انتشاراً وقبولاً لدى القدماء، فرجعوا إليه ونقلوا عنه، وقد ألح ابن عبد ربه بصورة خاصة على «عيون الأخبار»، فأكثر الأخذ عنه حتى أن بعض أبواب العقد نَسخا من الكتاب. وقد صدر الكتاب في 04 أجزاء[4].

5- **كتاب العقد الفريد:** مؤلّفه هو أحمد بن محمد **بن عبد ربّه (246- 328هـ)**، وقد قسمه إلى 25 كتاباً، وسمّى كل كتاب باسم جوهرة من جواهر العقد حيث تخيّله على شكل عقد والعقد كما نعلم يتألف من جانبين فجعل في كل جانب جوهرة تقابلها في الجانب الآخر جوهرة بنفس المسمى لكنها تختلف عن الأولى بزيادة الثانية وفي مجالها أيضاً ففي العقد لؤلؤتان وزبرجدتان وزمردتان وهكذا، أما واسطة العقد فأسماها الواسطة دون أن يميزها باسم جوهرة ذلك أنها تتوسط العقد فجعلها متميزة عنه.

وقد جاءت جواهر العقد كالتالي: السلطان، الحروب، الأجواد والأصفاد، الوفود، مخاطبة الملوك، العلم والأدب، الأمثال، المواعظ والزهد، التعازي والمراثي، النسب وفضائل العرب، كلام الأعراب، الأجوبة، الخطب، التوقيعات والفصول وأخبار الكتبة، الخلفاء وتواريخهم وأيامهم، أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة، أيام العرب ووقائعهم، فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه،

---

[2] - قام الأستاذ عبد السّلام هارون بتحقيق الكتاب في أربعة أجزاء، حيث صدرت الطبعة الأولى عن لجنة التأليف والترجمة والنشر، عام 1367هـ- 1948م. وهي أجود الطبعات جميعا.

[3] - صدرت الكتاب في طبعة البابي الحلبي عام 1936م بعناية زكي مبارك وأحمد محمّد شاكر. وهي طبعة حسنة تقع في 03 أجزاء، ألحق بها محمّد سيد الكيلاني سنة 1956 جزء رابعا للفهارس. وهناك طبعة أخرى صدرت في 04 أجزاء عن دار نهضة مصر بتحقيق محمّد أبي الفضل ابراهيم، والسيّد شحاتة وفي سنة 1951م. وقد قامت مطبعة الاستقامة القاهرية بطبعه بعد مراجعته على عدّة نسخ خطّية بمعرفة لجنة من العلماء، حيث أشرف على طباعته السيد مصطفى محمّد.

[4] - لعلّ أفضل طبعات الكتاب هي طبعة المكتب الإسلامي في أربع مجلدات، صدرت سنة 1429هـ بتحقيق منذر أبو شعر.

أعاريض الشعر وعلل القوافي، علم الألحان واختلاف الناس فيه، النساء وصفاتهن، المتنبئين والمحرّرين والبخلاء والطفيليين، طبائع الإنسان وسائر الحيوان وتفاضل البلدان، الطعام والشراب، الفكاهات والملح. وقد صدر الكتاب في ست مجلدات (ومجلد سابع يحوي فهارس[5].

6- **كتاب الأمالي[6]:** مؤلّفه أبي علي إسماعيل بن القاسم القالي **البغدادي (288- 356 هـ) (900- 966م).** وهو من أمهات كتب الأدب العربي، وقد ذكر القالي في مقدمته أسباب تأليفه للكتاب، والكيفية الّتي وضعه بها، وأهمّ ما تطرّق إليه. وقد قُسِّمه إلى مطالب، وخصّ كلّ مطلب بموضوع واحد، وتطول المطالب وتقصر، فتأتي بحسب ما يحتاجه المطلب من إيضاح أو بيان، فترى مطلبًا لم يبلغ الصفحة الواحدة، وآخر تجاوز 03 أو 04 صفحات. ويحتوي كتاب الأمالي شأن الكتب العامة على روايات أدبية متنوّعة؛ فيها الشعر والأخبار والخطب والأحاديث النبوية والآيات القرآنية. وقد صدر الكتاب في 04 أجزاء، والجزء الثالث هو ذيل الأمالي (وهو كتاب: التنبيه على أوهام أبي علي القالي في أماليه لأبي عبيد البكري)، والرابع هو كتاب النوادر[7].

7- **كتاب الأغاني**: مؤلّفه هو أبو **الفرج الأصبهاني (284- 356هـ) (897- 967م)،** والكتاب عبارة عن موسوعة عامة جمع فيها صاحبها ثقافة عصره بجميع جوانبها، حيث ضمّ بين دفتيه المئات من الشعراء والمغنّين وأخبار العامة والخاصّة، فهو أجمع الكتب في باب التراجم، وفيه أخبار الخلفاء والملوك والقواد، ومن نبغ من أولادهم في الشعر والغناء، وفيه محاسن ما قيل من الشعر في الجاهلية والإسلام، وما قيل في العصر العبّاسي، وفيه وصف لمآكل العرب ومشاربهم، وزواجهم وطلاقهم، ونواديهم وملاعبهم، وحاناتهم والمتردّدين عليها من القصّاصين والمضحكين وسائر أحوالهم. وقد صدر الكتاب في 25 جزءا[8].

8- **كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب:** صاحبه هو شهاب الدين أحمد النويري **(677- 733هـ) (1278- 1332م).** يمثل هذا الكتاب موسوعة لمعارف المسلمين في شتّى ميادينهم حتى أواسط القرن 08هـ (أواخر القرن 13م). وهو كتاب ضخم يقع في 33 جزءا[9] قسّمه النويري إلى 05 موسوعات أساسية سمّها فنونا، وجعل كلّ فنّ منها في خمسة أقسام فرعية سمّى كلّ قسم منها بابا. والفنون الخمسة هي: الأول: في السّماء والآثار العلوية، والأرض والآثار السفلية، والثاني: في الإنسان، والثالث: في النبات، والرابع: في الحيوان، والخامس: في التاريخ.

9- **صبح الأعشى في صناعة الإنشا:** صاحبه هو أبو العبّاس أحمد القلقشندي[10] **(756- 821هـ) (1353- 1418م).** ويحتوي على مقدمة وعشر مقالات، وخاتمة: حيث كانت المقدمة هي بمثابة كتاب واسع

---

[5] - أفضل الطبعات اثنتان صدرت الأولى عن مطبعة الاستقامة بالقاهرة بتحقيق محمد سعيد العريان عام 1940م، والثانية وهي أجود منها صدرت بإخراج لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام 1948م بتحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وابراهيم الأبياري، وهي طبعة محقّقة تحقيقا جيّدا مضبوطة، مشروحة.

[6] - يقول الحافظ السّلَفي: واظب على كَتْبِ الأمالي جاهدًا من ألسن الحفاظ والفضلاء
فأجلُّ أنواع العلوم بأسْـــرِها ما يكتب الإنسان في الإمــلاء

[7] - طبع الكتاب لأول مرة بمصر سنة 1324هـ بمطبعة بولاق بعناية إسماعيل يوسف التونسى، ثم طبع سنة 1926م بدار الكتب المصرية بعناية عبد الجواد الأصمعي في 04 أجزاء، والجزء03 هو ذيل الأمالي، والرابع هو كتاب النوادر. ثمّ طبعته المكتبة التجارية بمصر سنة 1373هـ.

[8] - لعلّ أفضل طبعاته طبعة دار الثقافة في لبنان في 25 مجلّدا بإشراف لجنة أدبية، خصّص المجلّدين الأخيرين للفهارس. ثمّ طبعة دار صادر اللبنانية سنة 2002م الّتي قام على تحقيقها إحسان عبّاس وإبراهيم السّعافين وبكر عبّاس، وهي طبعة مكتملة، أصدرتها في 25 جزءا

[9] - صدر في بعض الطبعات 32 جزءا

[10] - شهاب الدين أحمد بن بن علي بن أحمد القلقشندي.

تناول فيه الحديث عن القلم والكتابة والإنشاء، واستهل المقالة الأولى فيما يحتاجه الكاتب في الإجمال، والثانية في المسالك والممالك والثالثة: في ذكر أمور تشترك فيها أنواع المكاتبات والولايات وغيرهما، والرابعة في المكاتبات، والخامسة في الولايات، والسادسة فيما يكتب في الوصايا الدينية والمسامحات والإطلاقات السلطانية والطرخانيات وتحويل السنين والتذاكير، والسابعة في الإقطاعات، والثامنة في الإيمان، والتاسعة في عقود الصلح والفسوخ الواردة على ذلك، والعاشرة: في فنون من الكتابة. أمّا الخاتمة فتحدث فيها عن الإنشاء في غير شؤون الكتابة. وصدرت طبعات الكتاب بعضها في 14 جزءا وأخرى في 15 جزاء[11].

مجاميع أدبية أخرى:

يمكننا القول أنّ هذه هي أهم المجاميع الأدبية في تراثنا الأدبي القديم. وتبقى المكتبة العربية القديمة زاخرة بالكثير من المجاميع الأدبية منها: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لأبي الفرج الأصبهاني، خزانة الأدب وغاية الأدب لتقي الدين أبي بكر علي الحموي، أدب الكاتب لابن قتيبة، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري التلمساني[12]، زهر الآداب وثمرة الألباب لأبي إسحاق ابرهيم بن علي القيرواني الحصري (453هـ)، المستطرف في كلّ فنّ مستظرف لأبي الفتح الأبشيهي، وغيرها.

[11] - ولعلّ أفضل طبعاته طبعة دار الفكر بلبنان، حيث قام على شرحه والتعليق عليه: محمد حسن شمس الدين وهي طبعة مزودة بكل الفهارس عدد أجزائها 15، وطبعة دار الفكر بدمشق 1987، تحقيق: يوسف علي طويل، وهي في14 جزءا. وطبعة دار الكتب العلمية، بتحقيق: محمد حسين شمس الدين وآخرون، وهي في 15 مجلّدا.

[12]- ويعد أحد أقدم الكتب الأندلسية ظهورا للنور، وهو موسوعة تاريخية مهمة في دراسة التاريخ والأدب والجغرافيا الخاصة بالأندلس. وجاء الكتاب على جزأين، جزء يتحدث عن الأندلس والمدن الأندلسية وسكانها، ووصف مناخها وتوضيح مساحتها وتحديد أراضيها وأول من سكنها، ووصف سكان الأندلس وحبهم للعلم والأدب وسلوكياتهم وخصوصياتهم الاجتماعية، والشأو البعيد الذي بلغوه في مجال العلوم والآداب. والجزء الآخر عن أخبار الوزير ابن الخطيب.